احتقاراً لهم وازدراءً، ومع هٰذا تراهم مطمئنِّين لا يخطُر الخوف على بالهم، ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلِهم﴾: صباحاً أو مساءً، ﴿انقلبوا فَكِهين﴾؛ أي: مسرورين مغتبطين، وهٰذا أشدُّ ما يكون[١] من الاغترار؛ أنَّهم جمعوا بين غاية الإساءة مع الأمن[٢] في الدُّنيا، حتى كأنَّهم قد جاءهم كتابٌ وعهدٌ من اللّه[٣] أنَّهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنَّهم أهلُ الهدى، وأنَّ المؤمنين ضالُّون؛ افتراءً على اللّه، وتجرؤوا على القول عليه بلا علم. قال تعالى: ﴿وما أُرْسِلوا عليهم حافظين﴾؛ أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين، ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضَّلال، وما هٰذا منهم إلَّا تعنُّتٌ وعنادٌ وتلاعبٌ ليس له مستندٌ ولا برهانٌ.

﴿٣٤ ـ ٣٦﴾ ولهٰذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم؛ قال تعالى: ﴿فاليوم﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿الذين آمنوا من الكفَّارِ يضحكون﴾: حين يرونَهم في غَمَراتِ العذاب يتقلَّبون وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة ﴿على الأرائكِ﴾: وهي السرر المزيَّنة، ﴿ينظُرون﴾: إلى ما أعدَّ اللّه لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربِّهم الكريم. ﴿هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفعلون﴾؛ أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورمَوْهم بالضلال؛ ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، حين رأوهم[٤] في العذاب والنَّكال الذي هو عقوبةُ الغيِّ والضَّلال. نعم؛ ثُوِّبوا ما كانوا يفعلون عدلاً من اللّه وحكمةً. واللّه عليمٌ حكيمٌ.

❁ ❁ ❁

## تفسير سورة الانشقاق

### وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ[٥] ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَن

---

(١) في (ب): «مغبوطين، وهذا من أعظم ما يكون».
(٢) في (ب): «والأمن».
(٣) في (ب): «كتاب من الله وعهد».
(٤) في (ب): «ورأوهم».
(٥) في (أ): إلى قوله: ﴿بلى إن ربه كان به بصيراً﴾. وفي (ب) ذكر الآيات.

أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿١ ـ ٢﴾ يقول تعالى مبيِّناً لما يكون في يوم القيامة من تغيُّر الأجرام العظام: ﴿إذا السماء انشقَّتْ﴾؛ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومُها، وخسف شمسُها وقمرها، ﴿وأذِنَتْ لربِّها﴾؛ أي: استمعت لأمره وألقت سمعَها وأصاخت لخطابه، أي: حُقَّ لها ذٰلك؛ فإنَّها مسخَّرة مدبَّرة تحت مسخِّر ملكٍ عظيمٍ لا يُعصى أمره ولا يخالَف حكمُه.

﴿٣ ـ ٥﴾ ﴿وإذا الأرض مُدَّتْ﴾؛ أي: رجفت وارتجَّت ونُسِفَتْ عليها جبالُها ودُكَّ ما عليها من بناء ومعلم فسويت، ومدَّها الله مدَّ الأديم، حتى صارت واسعةً جدًّا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ﴿وألقتْ ما فيها﴾: من الأموات والكنوز، ﴿وتخلَّتْ﴾: منهم؛ فإنَّه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالإسطوان العظيم، يشاهده الخلق ويتحسَّرون على ما هم فيه يتنافسون، ﴿وأذِنَتْ لربِّها وحُقَّتْ﴾.

﴿٦﴾ ﴿يا أيُّها الإنسانُ إنَّك كادحٌ إلى ربِّكَ كدحاً فملاقيه﴾؛ أي: إنك ساعٍ إلى الله وعاملٌ بأوامره ونواهيه ومتقرِّبٌ إليه إمَّا بالخير وإمَّا بالشرِّ، ثم تلاقي اللَّهَ يوم القيامةِ؛ فلا تعدم منه جزاءً بالفضل أو العدل؛ بالفضل إن كنت سعيداً، وبالعقوبة إن كنت شقيًّا[1].

﴿٧ ـ ٩﴾ ولهٰذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فأمَّا مَنْ أوتي كتابه بيمينِهِ﴾: وهم أهل السعادة، ﴿فسوف يحاسَبُ حساباً يسيراً﴾: وهو العرض اليسير على الله، فيقرِّره الله بذنوبه، حتى إذا ظنَّ العبدُ أنَّه قد هلك؛ قال الله تعالى: إنِّي قد سترتُها عليك في الدُّنيا وأنا أستُرها لك اليوم[2]، ﴿وينقلبُ إلى أهله﴾: في الجنة ﴿مسروراً﴾: لأنَّه قد نجا من العذاب وفاز بالثواب.

---

(١) في (ب): «جزاء بالفضل إن كنت سعيداً أو بالعدل إن كنت شقيًّا».

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨).

﴿١٠ ـ ١٥﴾ ﴿وأمَّا مَن أوتي كتابَه وراء ظهرِهِ﴾؛ أي: بشماله من وراء ظهره[١]، ﴿فسوفَ يدعو ثُبوراً﴾: من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدَّمها ولم يتبْ منها، ﴿ويصلى سعيراً﴾؛ أي: تحيط به السعير من كلِّ جانب، ويقلَّب على عذابها، وذلك لأنَّه ﴿كان في أهلِهِ مسروراً﴾: لا يخطُرُ البعث على باله، وقد أساء، ولا[٢] يظنُّ أنَّه راجعٌ إلى ربِّه وموقوفٌ بين يديه. ﴿بلى إنَّ ربَّه كان به بصيراً﴾: فلا يحسُنُ أن يترُكَه سدىً لا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُثاب ولا يُعاقب.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ[٣] ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿١٦ ـ ١٩﴾ أقسم في هٰذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشَّفق؛ الذي هو بقيَّة نور الشمس الذي هو مفتتح الليل، ﴿والليل وما وَسَقَ﴾؛ أي: احتوى عليه من حيواناتٍ وغيرها، ﴿والقمرِ إذا اتَّسَقَ﴾؛ أي: امتلأ نوراً بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع. والمقسَم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾؛ أي: أيُّها الناس ﴿طبقاً﴾: بعد ﴿طبقٍ﴾؛ أي: أطواراً متعدِّدة وأحوالاً متباينة من النُّطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الرُّوح، ثم يكون وليداً وطفلاً ومميزاً[٤]، ثم يجري عليه قَلَمُ التَّكليف والأمر والنَّهي، ثم يموت بعد ذٰلك، ثم يُبْعَثُ ويجازى بأعماله؛ فهٰذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد دالَّة على أنَّ الله وحده هو المعبودُ الموحَّدُ المدبِّرُ لعباده بحكمته ورحمته، وأنَّ العبد فقيرٌ عاجزٌ تحت تدبير العزيز الرحيم.

﴿٢٠ ـ ٢٤﴾ ومع هٰذا؛ فكثيرٌ من الناس لا يؤمنون، ﴿وإذا قُرِئَ عليهم القرآنُ لا يَسْجُدونَ﴾؛ أي: لا يخضعون للقرآن ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بل الذين كفروا يكذِّبون﴾؛ أي: يعاندون الحقَّ بعدما تبيَّن؛ فلا يُسْتَغْرَبُ عدم إيمانهم

---

(١) في (ب): «من خلفه».
(٢) في (ب): «ولم».
(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات.
(٤) في (ب): «ثم مميزاً».

وانقيادهم[١] للقرآن؛ فإنَّ المكذِّب بالحقِّ عناداً لا حيلة فيه، ﴿والله أعلم بما يُوعون﴾؛ أي: بما يعملونه وينوونه سرًّا؛ فالله يعلم سِرَّهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فبشِّرْهم بعذابٍ أليم﴾: وسميت البشارة بشارةً؛ لأنَّها تؤثِّر في البشرة سروراً أو غمًّا.

﴿٢٥﴾ فهذه حال أكثر الناس؛ التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به. ومن الناس فريقٌ هداهم الله فآمنوا بالله وقبلوا ما جاءتهم به الرُّسل، فـ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾: فهؤلاء ﴿لهم أجرٌ غير ممنونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع، بل هو أجرٌ دائمٌ ممَّا لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ. والحمد لله[٢].

❁ ❁ ❁

## تفسير سورة البروج

### وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ[٣] ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿١ ـ ٣﴾ ﴿والسماءِ ذات البُروج﴾؛ أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر والكواكب المنتظمة في سيرها على أكمل ترتيبٍ ونظامٍ دالٍّ على كمال قدرة الله [تعالى] ورحمته وسعة علمِه وحكمتِه. ﴿واليوم الموعودِ﴾: وهو

---

(١) في (ب): «وعدم انقيادهم».
(٢) في (ب): «تم تفسير السورة. ولله الحمد».
(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.